وبامتداداتها التاريخية ، يتحول من حاجز الى قوة تتقدم ، فتبدأ أطراف المعادلة بالتغير:

« ولكني .. اذا ما جعت
آكل لحم مغتصبي
حذار .. حذار .. من جوعي
ومن غضبي !! ».

ان الدلالات التي تحملها هذه القصيدة النموذجية في تعبيريتها عن وعي عرب الارض المحتلة تنقسم الى نوعين :

١ — البعد السياسي — التحريضي : لكن هذا البعد لا يأتي هنا مباشرا ، انه يختبىء خلف رموز شعبية وثقافية ، تشكل اطار هذا البعد التحريضي الذي يعود ليبرز في نهاية القصيدة ، كبداية لها . أي ان القصيدة تتحول هنا الى دائرة ، نهايتها هي البداية التي تضيء بقية عناصر القصيدة ، فتدرجها داخل ايقاعها الخاص وتعيد تفسير بقية عناصرها . فالبعد السياسي ، هو بعد غير مباشر . انه يختفي خلف أشكال الحياة . وهذه هي قفزة البنية الشعرية التي لم يستطع الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة المحافظة عليها ، فعاد في أغلبه التحريضي والسياسي الى نفس نقطة الانطلاق التي كان عليها الشعر في الثلاثينات والاربعينات .

٢ — البعد الثقافي : الذي يقوم هو انطلاقا من واقع الحياة اليومية التي يعيشها الناس في الارض المحتلة ، بصياغة الحواجز الثقافية التي تحافظ على احساس الصمود ، والتي تشحن هذا الاحساس بتوتر من طبيعة خاصة . فدلالات الاشياء والرموز الثقافية في الارض المحتلة هي من دلالات مختلفة عما في خارجها ، اذ تأخذ الاشياء هنا مدلول الثبات . ومن داخل الثبات يتأسس عالم جديد ينتقل من الموقع السلبي الى الفعل الايجابي .

تقوم بنية القصيدة بتوحيد هذين البعدين في لهجة المخاطبة . فهناك طرفان في معادلة درويش الاولى : الشعب والعدو . وبين هذين الطرفين يقوم حوار من طبيعة عدائية ومدمرة . هذا الحوار ليس متكافئا . وهو كذلك في الواقع . لكنه هنا يقلب معادلة الواقع ، فالصوت الذي نسمعه هو الصوت الشعبي ، ولا يظهر صوت القمع الا من خلال ردود فعل هذا الصوت ، حتى نصل في المقطع الاخير الى لهجة أكثر مباشرة . هنا تظهر القصيدة الصوت الآخر بلهجة المجهول ، وتنزل لحظة من تداعي هذين المستويين لتضم مستوى مباشرا ، لا يخدم أغراض القصيدة ، لكنه يخدم دلالة الشعر السياسية .

اذا حاولنا العودة ثانيا الى قراءة القصيدة انقارنها بالاتجاهات المختلفة للشعر العربي ، نكتشف انها قصيدة بالغة البساطة ، هذه البساطة التي ينظرها شعر درويش في مكان آخر داعيا الى ضرورة « فهم البسطاء للقصائد » . وهي تفترض قارئا ، وسامعا . لكنها تركز على السامع — القارىء بطريقة القائية ، لانها قصيدة خطابية بالدرجة الاولى .

يشير هذا التحليل للقصيدة الى اتجاه عام يقودها ، هو الاتجاه الواقعي الذي تلعب صيغة المباشرة فيه دورا حاسما . وتقوم الدلالات داخل القصيدة بالاندماج داخل مستوى **العلاقة بالآخر** . فالرموز الثقافية المباشرة التي تحملها القصيدة لا قيمة لها خارج هذه العلاقة . هنا تتوحد القصيدة من حيث المبدأ ، في حين تبقى مفككة . فقصيدة « بطاقة هوية » هي احدى النماذج المتقدمة في بنية شعر الارض المحتلة ،